عالم متآمر، مجنون جداً

◆ القاص عمار يحيى حسين / الموصل

منذُ أن كنتُ صغيراً وأنا متأكدٌ من أني أعيشُ مؤامرةً كبرى، يحيكُها حولي كلُّ الناس وفي مُقدِّمَتِهم أهلي.

نعم، لا تتعجبوا لأني سأؤكد لكم أقوالي حتى لا تعتقدوا بأنيَ كاذبٌ لعين.

في كلِّ مـرّةٍ أكونُ بينهم سواءً في الشّارع أو في المقـهى أو أي مكانٍ آخـر، أُحسُّ بهم وهم يراقبون بحذرٍ كلَّ حركة أقومُ بها، وخاصةً عندما ارتدي ملابسَ جديدة، أراهم وهم ينظرون إليَّ بعيونٍ مليئة بالحقد وكأنَّهم يريدون التهامي، حتى إنني احدِّث نفسي في بعض الأحيان بأنّه لابد وإنهم يعتقدون بأنني قد سرقتها أو حصلتُ عليها بطريقةٍ غير شرعية، مع إن الأمر ليس كذلك طبعاً!.

حسناً، ربما لم تقتنعوا بهذا الأمر، وهذا من حقكم طبعاً، ولذلك سأعطيكم مثلاً آخر:

حين كبرتُ وحان وقتُ تسجيلي في المدرسة (والتي كانت مقابلةً لبيتنا)، أخذني أبي إلى المدرسة، لكن المدير ذو الوجهِ البشع رفض تسجيلي بحجة أنني أحول!!!.

صحيحٌ ما قالهُ ذلك المتآمر، أنا أحول، لكنني أرى الأشياءَ على صورتِها الحقيقية التي لا يرونها هم. المهم، طلبَ المديرُ من أبي أن يجلِس وجلستُ على الكرسي المقابل له، وبينما كانوا يتحدثون عن أُمورٍ لم أفهم منها شيئاً أثار انتباهي زرٌّ احمر كان موضوعاً على الجدارِ بجانبي، فوضعتُ يدي عليه، وانطلقَ صوتُ جرسٍ مزعجٍ وقويٍّ جداً، أسرعتُ إلى رفع يدي عنه، غَضِبَ ذو الوجهِ البشعِ مني وطردني خارج الغرفة، لم اذهب بعيداً ووقفتُ خلفَ الباب لعلّي اسمعُ شيئاً مما سيقولانهِ عنّي ولكن دون فائدة، وفجأةً سمعتُ صوتهُ وهو يصيح متعجباً:

– مجنون؟!!!.

اعتقدتُ في البداية انه كان يقصدُ بذلك أبي ، ولكنني ما لبثت أن عدلتُ عن تلك الفكرة لأنه لو كان الأمرُ كذلك لغَضِبَ أبي وضربه، أو على الأقل كان سيخـرج من عنده، فنظرتُ من ثُقبِ الباب لأرى ما يحدثُ في الداخل، كانوا يجلسون بشكلٍ اعتيادي كما تركتهم عدا أن المديرَ قد ترك كرسيّهُ الكبير وجلس على الكرسي المقابل لأبي، عندئذٍ فكّرتُ في أنه كان يقصدُ المجنون الذي يتحدث الأولادُ عنه في شارعنا والذي لم أكن قد رأيته أبداً.

بعد ذلك بقليل، خرج أبي وقادني إلى البيتِ وهو يمسكُ يديَّ بقوّةٍ وبطريقةٍ عصبية.

تأكّدتُ عند ذلك بأن أبي مشتركٌ في مؤامرةٍ، ليس الناس فقط مشتركون فيها، بل كلُّ شيءٍ

حولي، حتى الهواءُ الضعيف، الذي لم اعلم به سابقاً يتباهى بقوّته إلا علي، فقد حاولَ كثيراً خنقي بهروبه من فمي وأنفي، لكنه كما أخبرتُكم ضعيفٌ وانا قويٌ جداً، فأنا أُحارب وحدي كلَّ العالم، حتى زجاج نافذتي الخائن، نعم، وأرجوكم أن تصدّقوني في حكايتي معه:

ذاتَ يومٍ دخلتُ غرفتي ووجدتُ الزّجاج قد ثُقبَ نفسَهُ ثقباً بحجم الحجارة، لا تظنّوا بأن هذا الثّقبَ ليس له أي ضَرَرٍ لي، لقد فَعَلَ ذلك حتى يتمكن المتآمرون من مُراقبتي في كلِّ الأوقات، بل حتى وأنا نائم، لكنني كنت أذكى منه وحطَّمتهُ كليًا بعد أن هجمتُ عليه بالكرسي، لم أُبقِ منهُ أيةَ قطعة، قتلتهُ وتخلَّصتُ منهُ إلى الأبد.

فجأة، انفتحَ باب غرفتي وركَضَ أبي نحوي وراحَ يَضربُني ويَضربُني حتى تَعِب، ولكني لم احزن كثيراً لأنّي تفَهَّمتُ موقفَه وأدركتُ بأنه يفعل ذلك انتقاماً لعميله المقتول، كما وإنني لم أشعر بأيِّ ألمْ، وهذا هو سرّي الصّغير الذي لا يعرفهُ سِواي،

أنا لا أتألَّم أبداً.

جرَّني من شعري وأدخلني إلى القبوِ المُظلم ذو الرائحة الكريهة، سَجَنني فيه ليومٍ كامل، ويا ليتني بقيتُ فيه مدةً أطول، لأنه كان مكاناً أميناً بالنسبة لي أكثرَ من الخارج، حيث لا أحد يُزعجني أو يُراقبُني، وكذلك لأني حين خرجتُ أُصبتُ بصدمةٍ كبيرة، يا الهي!!!!.

لقد وَضَعَ زجاجاً (أو بالأحرى عميلا) آخر، آه كم أغضبني وجْهُ الزّجاج المُقرف وهو يتأمّلُني بكلِّ وقاحة، ولكن هذا لمْ يَدُمْ طويلاً، هل تعرفون كيف تصرّفتُ مع الأمرِ هذه المرة؟

كلا، لم أُحطِّمه كما فعلتُ في المرّة الماضية، لقد خلعتهُ بالكامل ورميتُهُ إلى الأسفلِ فتحطَّم إلى آلافِ الأجزاء على أرضية الشارع، لقد لجأتُ إلى هذه الخطّة حتى لا يصيحَ ويطلُبَ النّجدة كما فعل في المرّة الماضية صاحبهُ، هذه المرة كان صراخهُ لمرةٍ واحدة، وبعيداً عن مسامعِ أبي.

لكن احدَ المتآمرينَ في الخارجِ اتَّصلَ بسيّارةِ الإسعاف، والتي وَصلَتْ بسرعةٍ مُدهشَة، ظننتُ في البدايةِ أنهم جاؤوا ليُنقذوه، لكنهم لم يتوقّفوا بعد أن نزلوا من السيارةِ إلا على بابِ غرفتي.

دُهشْتُ عندما رأيتُ أبي معهم، لا اعرف كيف علِمَ بالأمر، والآن، هل لاحظْتُم معي كيف وصل الخبرُ إليه بسرعة؟ فأنا متأكد من أنّه لم يسمع صراخ الزجاج.

هذا خيرُ برهانٍ لكم لتتأكّدوا بأني لا أكذبُ ولا أخترعُ القصصَ من خيالي.

على كلِّ حال، دخلَ ثلاثةُ رجال، ومعهم أبي طبعاً، كانوا يرتدون زيًا مضحكاً، وألبسوني فستاناً مضحكاً أيضاً، يشبهُ إلى حدٍّ ما فساتينهم التي كانوا يرتدون، وكبّلوني بأكمامهِ الطويلة، ثم وضعوني في سيارةِ الإسعاف.

نظرتُ من نافذةِ السيّارة الخلفي وقد بدأتْ تتحرّك، إلى أبي الذي وقفَ في منتصف الشارع وهو يَمسَحُ دموعه!.

لم أستطعْ أن أُفَسّر سبب بكائه لأنني لم أجد أي مُبَرِّرٍ له، فلطالما كان يعاملني بقسوةٍ ووحشية.

أحضروني إلى هنا، حيث وجدتُ الكثيرين مثلي في هذا المكان، كانوا ضحيّةً للمؤامرات. يشبهونني في كلِّ شيء، سوى أنني الأحولُ الوحيدُ بينهم، لذلك فأنا مميّزٌ هنا، والكلُّ يحبّونني، وقد علِمْتُ أيضاً بأن الكثيرين مثلنا لا زالوا في الخارج، سيأتون إلينا قريباً، قريباً جداً.....

× القصة الفائزة بالمرتبة الثانية في مسابقة جامعة الموصل الأدبية للعام 2008.